خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٣/٧/١٤م

في مسجد مبارك في إسلام آباد ببريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. بسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم * الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يوْم الدِّين * إيَّاكَ نعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صرَاط الَّذينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوب عَلَيْهمْ وَلا الضَّالِّينَ، آمين.

كنت بصدد ذكر سيرة النبي ﷺ والواقعات الأخرى المتعلقة بغزوة بدر.

لقد انتهت معركة بدر وأوصل الله تعالى الكفار إلى عاقبتهم السيئة. ولقد قُتل سبعون من الكفار كما ذُكر سابقًا، وكان عدد كبير منهم من رؤسائهم وصناديدهم. وورد عن دفن رؤساء قريش في البخاري:

عَنْ عَبْدِ اللهِ ابن مسعود قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ (تُذكر هنا أحداث سابقة وما كان يُفعل في وقت مضى) بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ إذ انْبَعَثَ أَشْقَاهُمْ بتحريض من بعض أفراد قريش وجاء بفرث جَزُور فَلَمَّا سَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ وَثَبَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِدًا فَضَحِكُوا .. فَانْطَلَقَ مُنْطَلِقٌ إِلَى فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَام وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى وَثَبَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِدًا حَتَّى أَلْقَتْهُ عَنْهُ (أي أزالت فاطمة عنه ﷺ أمعاء الجزور الثقيلة) وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَسُبُّهُمْ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ قَالَ: اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ. ثُمَّ سَمَّى اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِعَمْرِو بْنِ هِشَامٍ وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ وَعُمَارَةَ بْنِ الْوَلِيدِ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَوَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأُتْبِعَ أَصْحَابُ الْقَلِيبِ لَعْنَةً.

كذلك ورد في كتب السيرة أن النبي ﷺ أمر بالقتلى من المشركين أن يُنقَلوا من مصارعهم التي أخبر بها رسول الله ﷺ قبل وجودها. فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر يقول: هذا مصرع عتبة بن ربيعة، وهذا مصرع شيبة بن ربيعة، وهذا مصرع أمية بن خلف، وهذا مصرع أبي جهل بن هشام، وهذا مصرع فلان غدا إن شاء الله تعالى، أي ويضع يده الشريفة على الأرض، فما تنحى أحدهم عن موضع يده.

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ لَمّا أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْقَتْلَى أَنْ يُطْرَحُوا فِي الْقَلِيبِ، طُرِحُوا فِيهِ إلّا مَا كَانَ مِنْ أُمَيّةَ بْنِ خَلَفٍ، فَإِنّهُ انْتَفَخَ فِي دِرْعِهِ فَمَلأَهَا، فَذَهَبُوا لِيُحَرّكُوهُ فَتَزَايَلَ لَحْمُهُ، فَأَقَرّوهُ، وَأَلْقَوْا عَلَيْهِ مَا غَيّبَهُ مِنْ التّرَابِ والحجارة.

ولما أمر رسول الله ﷺ بهم أن يُلقَوا في القليب، أُخذ عتبة بن ربيعة فسُحب إلى القليب، فنظر رسول الله ﷺ في وجه أبي حذيفة بن عتبة فإذا هو كئيب قد تغير، (وكان قد أسلم وكان أبوه كافرًا) فقال ﷺ: "يا أبا حذيفة، لعلك قد داخلك من شأن أبيك شئ؟" قال: يا رسول الله ﷺ، لا، والله يا رسول الله ما شككت في أبي ولا في مصرعه، ولكن كنت أعرف من أبي رأيا وحلما وفضلا، فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الاسلام، فلما رأيت ما أصابه، وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له أحزنني ذلك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير، وقال له خيرا.

عَنْ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ فَقُذِفُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ.. وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرْصَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرٍ الْيَوْمَ الثَّالِثَ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشُدَّ عَلَيْهَا رَحْلُهَا ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ وَقَالُوا مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ يَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ وَيَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالَ فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ.

وقد ورد في السيرة لابن هشام ما يلي:

يَا أَهْلَ الْقَلِيبِ بِئْسَ عَشِيرَةُ النّبِيّ كُنْتُمْ لِنَبِيّكُمْ، كَذّبْتُمُونِي وَصَدّقَنِي النّاسُ وَأَخْرَجْتُمُونِي وَآوَانِي النّاسُ وَقَاتَلْتُمُونِي وَنَصَرَنِي النّاسُ، ثُمّ قَالَ: هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبّكُمْ حَقّا؟

وكتب حضرة مرزا بشير أحمد ﷺ هذه الواقعة في كتابه "سيرة خاتم النبيين" كما يلي:

قبل مغادرة بدر توجه النبي ﷺ إلى القليب الذي دُفن فيه رؤساء قريش، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وقال: هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكم الله حَقًّا فَإِنِّي قَدْ وَجَدْت مَا وَعَدَنِي الله حَقًّا. ثم قال ﷺ: بِئْسَ عَشِيرَةُ النّبِيّ كُنْتُمْ لِنَبِيّكُمْ، كَذّبْتُمُونِي وَصَدّقَنِي النّاسُ وَأَخْرَجْتُمُونِي وَآوَانِي النّاسُ وَقَاتَلْتُمُونِي وَنَصَرَنِي النّاسُ. فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إنهم أموات وأنى لهم أن يسمعوا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إنهم لأسمع منكم لِمَا أَقُولُ. أي أنهم قد وصلوا إلى ذلك العالم الذي تنكشف فيه الحقيقة كلها ولا يبقى أي نوع من الحجاب.

إن الكلمات المذكورة للنبي ﷺ تتضمن مزيجًا غريبًا من الألم والحزن، ويمكن أن تعطي فكرة بسيطة عن حالته القلبية التي كانت تساوره. يبدو وكأن تاريخ معارضة قريش السابق كان ماثلا أمام عينيه، وكان يقلب صفحاته واحدة تلو الأخرى في عالم الخيال، وكان قلبه مضطربًا بمطالعة هذه الصفحات.

كما أن كلام النبي ﷺ هذا دليل يقيني على أن مسؤولية بدء هذه السلسلة من الحروب كانت كاملة على كفار مكة، ويتضح ذلك من كلماته التالية: قاتلتموني ونصرني الناس. على الأقل يثبت من هذه الكلمات حتمًا أن النبي ﷺ كان على يقين أن بداية هذه الحروب كانت من قبل الكفار، وأنه ﷺ اضطر إلى حمل السيف دفاعًا عن النفس.

ذُكرتْ معجزات النبي ﷺ أيضا في هذه الغزوة. وذُكرت واقعة منها في كتب السيرة كما يلي:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَاتَلَ عُكّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ يَوْمَ بَدْرٍ بِسَيْفِهِ حَتّى انْقَطَعَ فِي يَدِهِ فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَعْطَاهُ جِذْلًا مِنْ حَطَبٍ فَقَالَ: قَاتِلْ بِهَذَا يَا عُكّاشَةُ، فَلَمّا أَخَذَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ هَزّهُ فَعَادَ سَيْفًا فِي يَدِهِ طَوِيلَ الْقَامَةِ شَدِيدَ الْمَتْنِ أَبْيَضَ الْحَدِيدَةِ فَقَاتَلَ بِهِ حَتّى فَتَحَ اللهُ تَعَالَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَكَانَ ذَلِكَ السّيْفُ يُسَمّى: الْعَوْنَ. ثُمّ لَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ يَشْهَدُ بِهِ الْمَشَاهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتّى استشهد في الحرب ضد مسيلمة الكذاب وهو عنده.

ثم ورد ذكر بركة أثر ريق النبي ﷺ ويده بصورة معجزة، فقد ورد عن قتادة أنه أصيبت عينه يوم بدر، فسالت حدقته على وجنته، فأرادوا أن يقطعوها، فسألوا النَّبِيُّ ﷺ فقال: لا، فدعا به، فغمز حدقته براحته، فكان لا يدري أي عينيه أصيبت، أي التصقت بمكانها كما وشُفيت بحيث لا يُدرى أنها كانت جرحت، بل كانت أجمل من العين الأخرى.

وجاء في بعض الكتب أنها أصيبت يوم أحد، وقال البعض في الخندق، ولكن المهم أنها كانت معجزة وورد ذكرها ضمن أحداث بدر أيضا.

ثم ورد عن كيفية وصول خبر هزيمة الكفار إلى مكة أن المشركين فروا من ساحة بدر في صورة غير منظمة واتجهوا نحو مكة مذعورين لا يدرون كيف يدخلونها خجلا. وكان أول من قدم بمصاب قريش الحيسمان بن عبد الله، (كان قد أسلم فيما بعد) فقالوا: ما وراءك؟ قال: قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام (يعني أبو جهل)، وأمية بن خلف في رجال من الزعماء سماهم. فلما أخذ يعد أشراف قريش (لم يوقنوا) وقال صفوان بن أمية وهو قاعد في الحجر: والله إن يعقل هذا، لعله أصيب بالجنون، فاسألوه عني من أجل امتحانه، قالوا: ما فعل صفوان بن أمية؟ قال: ها هو ذا جالس في الحجر، وقد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا. (أي أيقنوا أن خبره حق) ...هكذا تلقت مكة أنباء الهزيمة الساحقة في ميدان بدر، وقد أثر ذلك فيهم أثرا سيئا جدا، حتى منعوا النياحة على القتلى، لئلا يشمت بهم المسلمون. (الرحيق المختوم)

نَاحَتْ قُرَيْشٌ عَلَى قَتْلَاهُمْ، ثُمّ قَالُوا: لَا تَفْعَلُوا فَيَبْلُغُ مُحَمّدًا وَأَصْحَابَهُ فَيَشْمَتُوا بِكُمْ، وَلَا تَبْعَثُوا فِي أَسْرَاكُمْ حَتّى تَسْتَأْنُوا بِهِمْ (لا تنوحوا ولا تسعوا لفداء أسراكم) لكي لَا يَأْرَب عَلَيْكُمْ مُحَمّدٌ وَأَصْحَابُهُ فِي الْفِدَاءِ. (سيرة بن هشام)

كيف وصلت أهل المدينة بشرى الفتح وماذا كانت ردة فعلهم؟ ورد عن ذلك: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ الْفَتْحِ عَبْدَ اللهِ ابْنَ رَوَاحَةَ بَشِيرًا إلَى أَهْلِ الْعَالِيَةِ، بِمَا فَتَحَ اللهُ عَزّ وَجَلّ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَبَعَثَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ إلَى أَهْلِ السّافِلَةِ. قَالَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَتَانَا الْخَبَرُ حِينَ سَوَّيْنَا التّرَابَ عَلَى رُقَيّةَ ابْنَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الّتِي كَانَتْ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفّانَ ﷺ. (كانت قد توفّيت) كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَلّفَنِي عَلَيْهَا مَعَ عثمان لرعايتها. فأتيتُ والدي زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَهُوَ وَاقِفٌ بِالْمُصَلّى قَدْ غَشِيَهُ النّاسُ وَهُوَ يَقُولُ قُتِلَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ وَزَمَعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيّ الْعَاصِ بْنُ هِشَامٍ وَأُمَيّةُ بْنُ خَلَفٍ، وَنُبَيْهُ وَمُنَبّهٌ ابْنَا الْحَجّاجِ. (سيرة ابن هشام)

بينما كان الوضع في المدينة المنورة أن المنافقين واليهود كانوا قد أشاعوا أن المسلمين لاقوا هزيمة نكراء وأن محمد ﷺ قد قتل أيضًا والعياذ بالله. في ظل هذه الشائعات، عندما دخل زيد على جمل النبي ﷺ، بدأ اليهود والمنافقون يقولون بمزيد من الشدة: انظروا، قد قتل محمد ﷺ لذا يأتي زيد على ناقته. ولما أخبر زيد بأنه قد قُتل عتبة وشيبة وأبو جهل وأمية، قال المنافقون كيف يمكن ذلك. ويبدو أن زيدا بسبب هزيمة المسلمين وموت محمد ﷺ فقدَ صوابه لذا يقول ذلك. كانت ردة فعل المنافقين واليهود في المدينة مثل ردة فعل الكفار في مكة. قال أسامة بن زيد ﷺ: كنتُ أسمع كل هذه الأشياء في المدينة لذا أخذت والدي زيدا ﷺ جانبًا وسألته: يَا أَبَتْ أَحَقّ هَذَا؟ قَالَ نَعَمْ وَاللهِ هو حق. لما علم أهل المدينة بذلك احتشدوا لاستقبال قافلة الرسول ﷺ المنتصرة، وكان المسلمون سعداء بهذا الفتح، وكانوا ينتظرون بفارغ الصبر عودة الرسول الكريم ﷺ. لم يشترك في هذه المعركة جميع المسلمين، لأنهم لم يعلموا بالحرب عند الخروج من المدينة. لما بلغهم خبر وصول النبي ﷺ خرج بعضهم من المدينة للترحيب به. والتقوا به ﷺ في الرواحة. كانت سعادتهم واضحة. بدأوا يهنئونه على انتصاره على الكفار. ثم دخل رسول الله ﷺ المدينة حيث رحب به جميع المسلمين.

ورد عن الغنائم في هذه المعركة أن المسلمين غنموا فيها مائة وخمسين من الإبل وعشرة أفراس ومتاعا وسلاحا وأنطاعا وثيابا وأدما كثيرا حمله المشركون للتجارة. (السيرة الحلبية)

جعل النبي ﷺ نصيبه مساويا لنصيب الصحابة. في هذه المعركة احتفظ الصحابة بسيف للنبي ﷺ، وتنفل النبي ﷺ جمل أبي جهل وكانت فى رأسه حلقة الفضة. (غزوات النبي لأبي الكلام آزاد)

لقد أعطى أصحاب السيرة النبوية أهمية خاصة لهذا السيف فورد في تفصيله أن اسم هذا السيف المذكور أعلاه كان "ذو الفقار"، وكان صاحبه مشرك وهو العاص بن منبِّه بن الحجاج الذي قتل في بدر. وبحسب بعض الروايات أن هذا السيف كان ملك أبي جهل، وأقرّ رسول الله ﷺ اسم هذا السيف "ذو الفقار". وقيل في سبب تسميته أنه سمي بـ "ذو الفقار" لأنّه كانت فيه حفر صغار حسان. (الطبقات الكبرى) لم يفارق هذا السيف النبي ﷺ بعد ذلك وكان معه في جميع الغزوات، وبعد النبي ﷺ كان مع الخلفاء العباسيين.

كذلك جمل أبي جهل الذي عنمة النبي ﷺ، فلم يزل عنده حتى ساقه في هدي الحديبية. وردت عنه قصة أن هذا الجمل كان يرعى في الحديبية إذ شرد فمر من الحديبية حتى انتهى الى دار أبي جهل بمكة، وخرج في إثره عمرو بن عنمة الأنصاري، فأبى سفهاء مكة أن يعطوه حتى أمرهم سهيل بن عمرو –الذي كان مندوب قريش في صلح الحديبية– بدفعه إليه. وقال ادفعوا فيه مئة نياق وإذا قبِله المسلمون فاحبسوه، وإلا ردوه، فقال رسول الله ﷺ: لولا أن سميناه في الهدي فعلنا، ونحره عن المسلمين. (سبل الهدى)

وفي توزيع الغنائم أعطى الرسول ﷺ نصيب الشهداء في غزوة بدر لورثتهم، وكذلك الذين عيّنهم النبي ﷺ نوابًا بالمدينة المنورة أو بعض الصحابة الذين أوكلت إليهم أعمال معينة ولم يتمكنوا من المشاركة في معركة بدر لهذا السبب، فقد تم منحهم أيضًا نصيبًا. (غزوات النبي ﷺ للعلامة الحلبي)

ورد عن إطلاق السراح لأسرى بدر وعن آراء الصحابة فيه أنه أُطلق سراح أسرى بدر مقابل الفدية. وتتراوح قيمة الفدية من أربعة آلاف إلى ألف درهم، لكن الذين ما كانوا يستطيعون دفع الفدية اشترط لهم أنه سيُطلق سراحهم إذا علّموا أبناء المدينة القراءة والكتابة. وبالإضافة إلى

ذلك أُفرج عن بعض الأسرى مقابل فدية قليلة أو بدون فدية. وردت روايات مختلفة عن الفدية وبعضها غريبة تُسبب إشكالا وقد حله حضرة المصلح الموعود ﷺ.

باختصار، أبين القضية كلها. اختلط الحابل بالنابل في الروايات المتعلقة بأخذ الفدية من أسرى بدر الواردة في كتب التاريخ والسيرة وحتى في كتب الأحاديث. والحقيقة أن ما قرره النبي ﷺ في الفدية كان وفقًا لمشيئة الله. وبحسب المرويات العامة، وقد ذكرتُها في ذكر عمر ﷺ ولكن من الضروري ذكرها هنا أيضا.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا أَسَرُوا الْأُسَارَى (يعني لما أَسر المسلمون الكفار يوم بدر) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونَ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ. ثم سأل ﷺ سيدَنا عمر ﷺ فَقَالَ: مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ قال لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ، نَسِيبًا لِعُمَرَ، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا. فَهَوِيَ (أي استحسنَ) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ. فَلَمَّا كَانَ مِن الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ. قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ، فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمْ الْفِدَاءَ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ.. إِلَى قَوْلِهِ.. فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾، فأحلّ الله لهم الغنائم. هذه الرواية في صحيح مسلم.

إن ما ورد في بداية هذا الحديث من بكاء رسول الله ﷺ وأبي بكر ﷺ وما ورد في الآية القرآنية بعدها يجعل هذه الرواية مبهمة غير واضحة، ولا يتضح المقصود منه. لكن معظم أصحاب كتب التاريخ والسير والمفسرون اعتبروا هذه الرواية صحيحة، وقالوا: كأن الله تعالى سخط على قرار أخذ الفدية من أسرى بدر واستحسن رأي عمر.

وقد جعل أصحاب كتب السير والسوانح بابا مستقلا عن آراء سيدنا عمر التي نزلت أحكام القرآن الكريم موافقةً لها، وذكروا في هذا الباب أن الله تعالى فضّل رأي عمر على الآراء الأخرى بشأن أسارى غزوة بدر. ولكن الأمر يبقى مبهما غير واضح. ويبدو أن أصحاب السيَر والمفسرين قد أخطأوا في فهم الأمر. ولقد وجدنا في الملاحظات التفسيرية غير المطبوعة للمصلح الموعود ﷺ قولاً يفنّد هذه الروايات ويوضح المقصود، وأقدمه لكم وأرى أن ما قاله حضرته هو الصحيح. يبدو أن أصحاب السير والتفسير قد اخترعوا هذه

الرواية سعيًا لرفع مكانة سيدنا عمر ﷺ أو فهموها فهما خاطئا. على كل حال، لقد قال حضرة المصلح الموعود ﷺ في تفسير الآية ٦٨ من سورة الأنفال: كان عند العرب قبل الإسلام عادةٌ، وهي لا تزال موجودة في بعض مناطق العالم حتى اليوم للأسف، (هذا ما كان سائدا يوم كتب حضرته هذه الملاحظة)، أنهم كانوا يلقون القبض على رجال العدو ويستعبدونهم بدون الحرب والقتال. وإن هذه الآية تلغي هذه العادة القبيحة، وتأمر بكلمات واضحة ألا يؤسَر أحد من الأعداء إلا في حالة الحرب وبعد القتال، وإن لم يندلع القتال فلا يجوز أخذ أحد منهم أسيرا. لقد فسر المفسرون هذه الآية تفسيرا خاطئا جدا حيث قالوا إن المسلمين لما أَسروا في غزوة بدر بعض أهل مكة استشار فيهم النبيُّ ﷺ صحابتَه، فرأى سيدُنا عمر أنه يجب قتلُهم، بينما رأى سيدنا أبو بكر إطلاق سراحهم بعد أخذ الفدية منهم. فاستحسن النبي ﷺ رأي أبي بكر. وقد قالوا: هذا في تفسير قول الله تعالى ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ (الأَنْفال: ٦٨).

يقول سيدنا المصلح الموعود موضحًا هذا الأمر. لقد قال المفسرون إن رأي أبي بكر كان مختلفا عن رأي عمر، فاستحسن النبي ﷺ رأي أبي بكر، وخلّى سبيل الأسرى بعد أخذ الفدية منهم. لكن المفسرين يقولون حين نزلت هذه الآية فكأن الله تعالى لم يستحسن فيها فعْلَ النبي ﷺ. وهذه الرواية اختُرعت لرفع مقام سيدنا عمر فقط حتى لو كان ذلك يحطّ مكانة النبي ﷺ.

على كل حال يقولون إن الله ﷻ أبدى عدم إعجابه بفعل النبي ﷺ حيث كان الواجب عليه أن يقتل الأسارى، لا أن يأخذ منهم الفدية. وهذا ما ورد في تفسير الطبري.

ولكن حضرة المصلح الموعود ﷺ يقول: إن هذا التفسير باطل، وذلك لأنه: أولا: لم يكن الله قد أنزل حتى ذلك الوقت أي حكم بعدم إطلاق سبيل الأسرى بعد أخذ الفدية منهم، لذا فلا سبيل للاعتراض على الرسول ﷺ على أخذ الفدية منهم. وثانيا: كان الرسول ﷺ قد أطلق من قبل سراح أسيرَين في "نخلة"، ولم يسخط الله تعالى على نبيه ﷺ بسبب ذلك. وثالثا: بعد آيتين اثنتين فقط من هذه الآية قيد التفسير قال الله تعالى للمسلمين: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾. فهل يخطر ببال أحدهم أن يسخط الله على نبيه ﷺ بسبب أخذه الفدية، وفي الوقت نفسه يعُدُّ أموال الغنيمة حلالا طيبا؟ لذا فتفسيرهم باطل، وإنما التفسير الصحيح هو أن الله تعالى قد بيَّن في هذه الآية مبدأً عاما هو ألا يُتّخذ الأسارى إلا في قتال رسمي وبعد توجيه الضربات القاسية للعدو وجعْله مغلوبا.

وموقف الإمام الرازي من بين المفسرين وموقف مؤلف السيرة النبوية المعروف العلامة شبلي النعماني لهو الموقف نفسه الذي ذكره المصلح الموعود ﷺ.

فقد كتب عن ذلك سيدنا مرزا بشير أحمد ﷺ أيضا:

عند الوصول إلى المدينة المنورة، تشاور النبي ﷺ في أمر أسرى الحرب وكيف ينبغي معاملتهم. كان أسرى الحرب، وفقًا للعرف العربي، إما يُقتلون أو يُسترقّون للأبد. ولكن النبي ﷺ كان يكره مثل هذه المعاملة، ولم تكن قد نزلت أحكام الله تعالى في مثل هذه الأمور. فاقترح أبو بكر الإفراج عن الأسرى بعد أخذ الفدية منهم، لأن هؤلاء الأسرى أقارب للمسلمين، وعسى الله أن يخرج منهم غدا من يفدون الإسلام بدمائهم. أما عمر، فخالف هذا الرأي وقال بأنه ينبغي ألا نقيم وزنًا لمسألة القرابة في أمور الدين. وبما أنهم استحقوا القتل بجرائمهم لذلك أقترح إعدام الأسرى كلهم، بل ينبغي أن يؤمَر المسلمون بقتل أقاربهم من هؤلاء الأسرى بأيديهم. ففضَّل النبيُّ ﷺ اقتراح أبي بكر لرحمته الفطرية وقرر عدم قتلهم، وأمر بإطلاق سراح من يقدر على دفع الفدية من المشركين، ثم جاءت الموافقة على رأيه في الوحي الإلهي فيما بعد. فما دام الحكم الإلهي قد نزل عن الفدية كما كتبه سيدنا الخليفة الثاني فمن العجيب جدًّا بعد هذا، الاعتمادُ على الرواية المذكورة والبحث عن سبب بكاء النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه.

على أية حال، يقول مرزا بشير أحمد رضي الله عنه: لقد تقرر أخذ الفدية من كل أسير على أساس قدراته المادية، وكان الحد الأدنى ١٠٠٠ درهم والحد الأقصى ٤٠٠٠ درهم، وبالتالي أفرج عن جميع الأسرى.

والبقية في المستقبل إن شاء الله.

بعد صلاة الجمعة سوف سأصلي جنازة الغائب على مرحومَين، أحدهما الداعية الأحمدي رانا عبد الحميد خان الكاتغرهي نائب ناظم المال في مؤسسة الوقف الجديد في باكستان. فقد توفي قبل أيام عن عمر يناهز سبعين سنة، إنا لله وإنا إليه راجعون. كان بفضل الله منخرطًا في نظام الوصية، واسم والده شودري عبد اللطيف خان الكاتغرهي واسم والدته أمة اللطيف. كان والد المرحوم أيضا واقف الحياة ويعمل للجماعة. جاءت الأحمدية في عائلة المرحوم بواسطة جدِّه شودري عبد المنان خان الكاتغرهي وأخيه الأكبر حضرة شودري عبد السلام خان الكاتغرهي الذي كان قد تشرَّف بالبيعة على يد سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في ديسمبر ١٩٠٣.

بدأ المرحوم عبد الحميد الكاتغري خدمات الدين كداعية في مايو ١٩٧٩، وعمل في أماكن عديدة في باكستان وخارجها. وعمل في أوغندا تحت وكالة التبشير من شهر أغسطس ١٩٨٥ إلى ديسمبر ٨٦. ثم قدم الخدمات بصفته نائب ناظم المال في مؤسسة الوقف الجديد بدءًا من ١٩٩٣ إلى وفاته. قد وفقه الله تعالى لخدمة الدين إلى ٤٤ عاما.

رزقه الله تعالى بابن وبنت. ابنه الدكتور عبد الرؤوف خان يعمل رئيس مجلس خدام الأحمدية بالدنمارك حاليا. وقد كتب عن والده المرحوم وقال: ظل أبي وفيًّا بعهد الوقف دائما. عندما كان يخدم في أوغندا رجع مبكرا من هنالك لأن الثوار أطاحوا بالحكومة ونفوا الأجانب من البلاد. كان رئيس الدعاة السيد "محمود بي تي" في أوغندا قد أعطى والدي نسخة من القرآن الكريم وأرسله إلى كمبالا للدعوة، ولكن

نشبت الحرب الأهلية في تلك المنطقة. واضطر السكان للهجرة من هنالك. وخلال هذه الهجرة مرض أبي ولم يكن هناك أي مشفى قريبا منه، كما لم يتيسر الإسعاف، فتركه الناس في غرفته وذهبوا. واستولى الثوار على تلك المنطقة، وبحثوا عن كل شخص موجود في المبنى، ووصل أحدهم إلى الغرفة التي كان أبي مستلقيا فيها، ولكنه ظنه ميتا فتركه وذهب.

يقول الدكتور: أخبرَنا أبي كنتُ مستلقيا على الأرض قريبا جدا من الشباك، وكانت الطلقات النارية تدخل من الشباك وتقع على الجدار المحاذي. ثم بعد أن هدأت الأوضاع وتحسنت اتصل بأبي بعض مَن عرفوه، فنقلوه إلى مكان آمن، وهكذا حفظه الله تعالى.

كانت تربط والدي بالخلافة آصرة حب واحترام عظيمين. كان إنسانا بسيطا ومؤانسا، وملبيا كل حين لكل ما يقوله الخليفة في الخطبات، وكان لا يقبل تأويل كلام الخليفة، وإذا حاول أحد تأويله قائلا هذا هو مراد الخليفة، فكان والدي يسخط سخطا شديدا.

يقول ابن المرحوم أيضا: كان أبي يكنّ للمسؤولين والدعاة في الجماعة احتراما كبيرا، وكان يوصيني بذلك أيضا. عندما كنت أخدم مسؤولا في مجلس أطفال الأحمدية قال لي مرة إذا اختلفت مع المسؤول الأعلى لمجلس الأطفال ولم تُرِدْ طاعته في شيء فعليك أن تترك المنصب.

كان أبي مستمسكا بنظام الجماعة والخلافة بقوة، ولم يكن من الذين يطيعون مسؤولا ولا يطيعون الآخر. من محاسنه البارزة إعانة الآخرين وإصلاح الخطأ في محله، وإذا وجه أحدًا إلى الإصلاح فسخط فكان أبي لا يبالي بسخطه، وإذا قام هذا بإصلاح خطئه كان والدي يشجعه قائلا: ما كنتُ أريد إلا الإصلاح.

وكتب ابنه أيضا: لقد سنحتْ له فرص كثيرة لجلب الرخاء في حياته بترك الوقف، ولكنه آثر وقف الحياة على كل شيء آخر دوما. في آخر عمره قلتُ له من الأفضل أن تأتي عندي في الدنمارك الآن، فسخط أبي وقال إني لم أنذر سنوات من حياتي لخدمة الدين، بل وقفت حياتي كلها، وكل شيء لي مرتبط الآن بالوقف فقط.

وكتبت ابنته الحافظة حسن آراء: كان أبي محبا ومشفقا مضيافا وتقيا. كان كنزا من الدعوات. ومن ميزاته البارزه أنه (أولاً) كان كبير الثقة والتوكل على الله تعالى، و(ثانيا) كان شديد الحب للخلافة. كان يحب الخلافة حبا خاصا يفوق حبَّه لأي صلة وقرابة أخرى. كان محورَ تفكيره وبداية كلامه ونهايته الخلافةُ فقط والوصيةُ بحب الخلافة كل حين.

تقول ابنته أيضا: عندما كان يزورنا في المملكة المتحدة كنت لفرط الحب له أعبر له عن مشاعري تجاهه، فكان يوصيني إن صلات الدنيا كلها فانية، فعليك أن تقوي صلتك بالله تعالى فقط، وإن كل القرابات تخذلك، ولكن الله تعالى وحده هو الحي القيوم، وهو لا يترك ولا يخذل أبدا. ثم كان يقول: كوني على صلة قوية مع الخلافة.

كان أبي إنسانا بسيط الطبع جدا وكان يقول دائما إني واقف الحياة للدين، وإن حياتي كلها وقف للدين، وأمنيتي أن أفي بعهد الوقف حتى الممات.

وكتب الحافظ خالد افتخار، ناظم المال في مؤسسة الوقف الجديد، في رسالة لي: سنحت لي فرصة العمل مع المرحوم عبد الحميد خان لحوالي ٢٠ عاما، وقد وجدت سيرته سيرة الواقف للحياة حقا على الدوام. كان أكبر مني سنًّا وخبرة، ومع ذلك كان ملتزما بطاعة الخلافة ونظام الجماعة إلى أبعد الحدود، ولم يُشعرني قط أنه أكثر مني خدمةً. كان يعمل نائبًا لي، وقد عمل معي بمنتهى الإخلاص والتفاني والتواضع. كان يمتلك أسلوبا رائعا لبيان ضرورة التبرعات وحثِّ الناس على دفعها، وكان يعلّم الجدد من العاملين والدعاة والمعلمين أساليب العمل بالحكمة. كان المرحوم يقوم بأعماله المنوطة به في طاعة كاملة. كان سديد الرأي. ومع أنه كان يخدم بصمت وتواضع، ولكن مؤسسة الوقف الجديد قد استفادت من خدماته كثيرا خلال ٣٠ عاما.

في السنوات الأخيرة من حياته كان يصاب بوعكة صحية من حين لآخر، وكان أولاده خارج البلاد، وإذا قال له البعض عليك أن تذهب إلى أولادك في الخارج، فكان يجيب وهو مغلوب بالرقّة: لقد نذرت حياتي للدين، وسوف أخدم حتى آخر لحظة من حياتي. وقد وفقه الله تعالى للوفاء بهذا العهد حتى الممات.

وقال الداعية مبشر أحمد وهو يعمل في قسم المال في الوقف الجديد: عُيّنت في قسم المال في مؤسسة الوقف الجديد عام ٢٠١٣، فنصحني المرحوم عبد الحميد خان نصيحتين أساسيتين وقال: عليك أن تسجلهما في دفترك. أولاهما أن الخلافة هي منبع البركات كلها، ويجب الوفاء بالخلافة في كل حال ودائما. والثانية لو قصّر المرء في عمله فيمكن الصفح عنه، ولكن لا صفح ولا عفو على الكذبِ وليِّ عنق الكلامِ. لا تلوِ عنق الكلام ولا تكذب أبدا. خُذْ هذين المبدأين معك دوما. والأخص من ذلك أننا كلنا نؤمن ونوقن أنه لا بد لنا من أن ندعو الله ونسأله نصرته وعونه دائما.

ويقول هذا الداعية أيضا: لقد رافقته في الجولات الميدانية، وكان ينصح مرة بعد أخرى: لا بد لنا عند الحث على التبرع للوقف الجديد أن نبين للناس أهمية وضرورة الوقف الجديد بحيث لا يبقى عندهم أي انقباض في التضحية في هذا السبيل. ليس هدفنا أن نسأل الناس الأموال، بل علينا ترسيخ أهمية التبرعات في قلوبهم، وخلْقُ الحرقة والألم فيها من أجل الجماعة، ثم بعد ذلك علينا أن نسألهم الأموال بحسب وسعهم، ولا داعي لأن نخجل في هذا السؤال أبدا لأن واجبنا خدمة الجماعة والاستعانة بالناس في هذه السبيل.

كان المرحوم يقول وهو يوصينا بالحرص على أملاك الجماعة: تُجمَع التبرعات نتيجة تضحيات أبناء الجماعة، وعلينا ألا نسرف في إنفاق هذه التبرعات. يجب الإنفاق عند الضرورة، ولكن ليس أكثر من الضرورة. لقد قلتُ لابني أيضا إنك ابني ما دمتَ وفيًّا للجماعة، وليس لي سوى ذلك أيُّ علاقة معك ولا أيُّ مطالبةٍ منك.

غفر الله المرحوم ورحمه ورفع درجاته، وأورث أولاده محاسنه.

والجنازة التالية هي للسيدة نصرة جهان زوجة الداعية مبشر أحمد المحترم بالولايات الأمريكية المتحدة، وقد توفيت مؤخرا، إنا لله وإنا إليه راجعون. كانت المرحومة قد هاجرت إلى أمريكا مع زوجها وأبنائها الثلاثة عام ١٩٧٢، وأقامت في واشنطن. وفق الله زوجها السيد مبشر أحمد لوقف حياته لخدمة الدين في أمريكا عام ١٩٨٨. علمًا أن زوجها يعمل داعية الآن هنالك. وبعد أن وقف حياته قضت المرحومة حياتها معه بمنتهى التواضع والبساطة والشكر. كانت موصية بفضل الله تعالى، وكانت تسعى جاهدة لتكون سباقة في دفع التبرعات. كانت تحب الخلافة لدرجة العشق. خدمت الجماعة من عام ١٩٧٧ إلى ٢٠٠٧ بمناصب مختلفة منها نائبةُ رئيسة لجنة إماء الله المحلية، ورئيسةُ لجنة إماء الله في الفرع الذي كانت مقيمة فيه، ورئيسةُ لجنة إماء المنطقة. كانت مولعة بنشر الإسلام والأحمدية، وكانت ترتب لذلك برامج شتى بغاية الجهد والشوق. وعقدت برامج شتى لتربية وتعليم عضوات لجنة إماء الله وناصرات (بنات) الأحمدية. ربت أولادها تربية دينية على أحسن وجه، كما اهتمت بتعليمهم الدنيوي أيضا. تركت وراءها زوجها وابنين وبنتين، وكلهم نشطاء في الجماعة ويوفقون لخدمة الدين. غفر الله للمرحومة وشملَها برحمته، وأورث أولادها دعواتها وحسناتها. آمين